وإن كان ليلٌ فالْوِيَا نَسَيْكُمَا ... وإن خِفْتُما أنْ تُعْرَفَا فتَلَثَّمَا[16]

وقولا : خرجنا تاجِرَيْن فأبطأت ... رِكَابٌ تركناها بتثليثَ قُوَّمَا[17]

ولو قد أتانا بُزُّنا ودَقِيقُنَا ... تَمَوّل منكم من رأيناه مُعْدِمَا

ومُدَّا لهم فى السّوْم حتى تمكّنَا ... ولا تَسْتَلِجَّا صَفْقَ بيع فيلزَمَا[18]

فإن أنتما اطْمَأْنَنْتُما فأمِنْتُما ... وخُلِّيتُما ما شئتُما فتكلّمَا

وقولا لها : ما تأمرين بصاحبٍ ... لنا قد تركتِ القلْبَ منه مُتَيّمَا

أبينى لنا إنّا رَحَلْنا مَطِيّنَا ... إليك وما نرجوك إلا تَوَهُّمَا

● وقال المأمون لرسول بَعَثَ بِهِ :

بعثتُك مُرْتادًا - فَفُزْتَ بنظرةٍ ... وأُحْلَفْتَنى حتى أسأتُ بك الظَّنَّا[19]

وناجَيْتَ من أهوى وكنتَ مُقَرّبًا ... فياليت شعرى عن دُنُوِّكَ ما أَغْنَى

وردَدْتَ طَرْفًا فى محاسِنِ وَجْهِهَا ... ومَتّعْتَ باستِسْمَاعِ نَغْمَتِها أُذْنا[20]

أرى أثراً منها بعَيْنَيْك لم يكن ... لقد سَرَقَتْ عَيْناكَ من وجْهِهَا حُسْنا

● وقال بعض المحدَثين :

يا سُوءَ مُنْقَلَبِ الرسو ... لِ مُخَبِّرًا بخلافِ ظَنّى

إنى أعيذُك أن تكو ... نَ شَغَلْتِنى وشُغِلْتَ عَنّى

□ أَمَةٌ خَطِيرة ! :

وقال زيد بن عمرو فى أمته :

إذا طَمِثَتْ[21] قَادَت ، وإن طَهُرَت زنت ... فهى أبداً يُزْنَى بها وتَقُودُ !!

بـاب الزّنا والفُسُوق

□ لماذا يُبْقِى عَلَيْها مَعَ ما يَعْرِفُه عنها ؟! :

العُتبى قال : قيل لرجل فى امرأته - وكانت لا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ[1] - :

(١٦) الْوِيَا نسيكما : أى أخْفِيَا نسيكما ولا تُظهِراه . (١٧) ثَلِيثَ : موضع بالحجاز قرب مكة .
(١٨) استَلَجَّ : تمادى وألحّ . (١٩) مُرْتادًا : طالبا مُتفقدًا لتعلم الحقيقة .
(٢٠) الاستسماع : بمعنى : الاستماع . (٢١) طَمِثت : حاضت .
(١) قيل فيها : وُجِّهت إليها تهم أخلاقية . ولا تردّ يد لامس : لا تتعفف ولا تصون نفسها .

علام تحبسُها[٢] مع ما تعرف عنها ؟! فقال :

إنها جميلة فلا تُفْرَك[٣]، وأم عِيالٍ فلا تُتْرَك !

□ واسِعَةُ الحَبْل :

وقال بعض الأعراب :

أَلِمَّا على دارٍ لَواسِعَةِ الحَبْلِ ... أَلُوفٍ تُسَوى صالحَ القَوْمِ بالرَّذْلِ[٤]

يَبِيتُ بها الحُدّاثُ حتى كَأَنَّمَا ... يبيتُون فيها من مَدَافع من نَخْل[٥]

□ كيف درأ الفرزدق عنه الحد ؟ :

أنشد الفرزدق لسليمان بن عبد الملك القصيدة التى يقول فيها :

ثلاثٌ واثنتانِ فهنّ خَمْسٌ ... وسادسة تميلُ إلى شِمَامِ[٦]

فَبِتْ بجانِبَيّ مُصَرّعاتٍ ... وبِتُّ أَفُضُّ أغلاقَ الخِتامِ[٧]

كأن مَفَالِقَ الرُّمّانِ فِيهَا ... وجَمْرَ غَضَى قَعَدْن عليه حَامِي[٨]

فقال سليمانُ : أَحْلَلْتَ نفسَك يا فَرَزْدقُ : أَقْرَرْتَ عندى بالزنا وأنا إمام ، ولابد لى من إقامةِ الحدِّ عليك ؛ فقال : بِمَ أوجبت ذلك عَلَىّ يا أميرَ المؤمنين ؟!

فقال : بكتاب الله[٩]؛ قال : فإن كتاب الله يَدْرَأُ عَنّى ؛ قال الله جل ثناؤه : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون** ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٦] .

فأنا قلت ما لم أفعل !

---

(٢) تحبسُها : تحفظ بها وتُمسكها فى عصمتك .

(٣) فلا تُفْرَك : فلا تبغض . جمالها يحببه فيها .

(٤) واسعة الحَبل : توقع الكثيرين فى شباك حبها وتسحرهم ! وحركتها ممدودة غير محدودة . وتسوى صالح القوم بالرّذل : أى هما سواء عندها كسابقتها لا ترد يد لامس .

(٥) الحُدّاث : المتحدثون من رُوّادِ دارها . وقوله « من مدافع من نخل » كذا بالاصل ، ولعله : « يبيتون منها فى مَرابِعَ للنخل » والمراد : امتلاء الدار بهم وتزاحم الرواد عليها ، أو تدافعهم كما تتدافع فسائل النخل فى مكان محدود وتتزاحم وتتداخل .

(٦) الشّمَام : القُبَل والرشف .

(٧) جاء فى الشعر والشعراء : « مُطَرحات » بدلاً من « مُصَرّعات » . ويفض الأغلاق : جمع غَلَق : أى يفض بكارتهن !

(٨) الغضى : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفىء !

(٩) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ .

□ صورة مصغرة لذنوب أبى الطَّمْحَان ! :

قيل لأبى الطَّمْحَان القَيْنى : خَبِّرنا عن أدنى ذنوبك ؛ قال : ليلةُ الدّير ؛ قالوا : وما ليلةُ الدّير ؟ قال :

نزلت على دَيرانية[١٠]، فأكلت طَفَيْشَلاً[١١] لها بلحم خِنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كِسَاءَها ، وَمَضَيْت[١٢]!.

□ هو والناس ! :

وقال عُمَرُ بن أبى ربيعةَ :

يَقْصِدُ الناسُ للطّوافِ احتسابًا ... وذُنُوبِى مَجْمُوعةٌ فى الطواف !

□ هو الرّجس ! :

وقال جرير فى الفرزدق :

لقد وَلَدَت أم الفرزدق فاجرًا ... فجاءت بوَزْوَازٍ قَصِيرِ القَوائِمِ[١٣]

يُوَصّل حَبْلَيْه إذا جَنّ لَيْلُهُ ... لِيَسْرِق إلى جاراته بالسَّلاَلِمِ[١٤]

وما كان جارٌ للفرزدقِ مُسْلِمٌ ... لِيأْمَنَ قِرْدًا ليلهُ غيرُ نائِمِ[١٥]

أتيتَ حُدُودَ الله إذْ كنتَ يافِعًا ... وشِبْتَ فما ينهاك شيبُ اللهازِمِ[١٦]

تَتَبَّعُ فى الماخورِ كُلّ مُريبةٍ ... ولَسْتَ بأَهْلِ المُحْصَنَاتِ الكرائِمِ[١٧]

هو الرّجْسُ يأهل المدينة فاحذروا ... مداخلَ رجسٍ بالخَبِيثَاتِ عالمِ[١٨]

لقد كان إخراجُ الفَرَزْدَقِ عنكُمُ ... لَهُورًا لما بين المصَلَّى وواقِمِ[١٩]

تَدَلَّيْتَ تزْنى من ثمانينَ قامةً ... وقَصّرتْ عَنْ بَاعِ العُلاَ والمكارِمِ

□ إسماعيل بن غزوان وامرأة العزيز ! :

وقال عمروُ بنُ بحر : قرأ قارىء : ﴿ **قالت امرأة العزيز الآن حَصْحَصَ**

---

(١٠) دَيْرانية : صاحبة الدير . (١١) طَفَيْشَلاً : نوعًا من المرق .

(١٢) وهكذا تفعل الخمر بصاحبها ، وتجره إلى ارتكاب الكبائر !

(١٣) الوَزْوَاز : الكثير النَّزَوَان . نسبة إلى الطيش والخِفّة . (١٤) جَنّ ليلُه : أظلم .

(١٥) العرب تقول : هو أزنى من قِرْد ، وعلى هذا فهو يرميه بالزنا والفجور .

(١٦) حدود الله : محارمه . واللهازم : أصل اللحيين جمع لهزمة .

(١٧) الماخور : مكان بيع الخمر وشربها ومأوى العاهرات الفاجرات !

(١٨) ورد فى الشعر والشعراء سبب هجاء جرير للفرزدق بهذا البيت فراجعه .

(١٩) المصَلَّى : موضع فى عقيق المدينة . وواقم : أطم من آطام المدينة كأنه سمى بذلك لحصانته .

الحق ﴾ إلى قوله : ﴿ ذلك ليعلمَ أنى لم أخُنه بالغيب ﴾ [يوسف : ٥٢]
قال إسماعيل بنُ غزوان : لا والله ما سمعتُ بأغزلَ من هذه المرأة!
وسمع بكثرة مُراوَدَتِها يوسفَ عنها ؛ فقال إسماعيل : أما والله لى تمرّستْ[٢٠]!.

□ أهكذا يكون الضيف ؟! :

بات أعرابىٌّ ضيفًا لبعض الحَضَر ، فرأى امرأةً فهَمّ أن يخالفَ[٢١] إليها فى أول الليل فمنعه الكلبُ ، ثم أراد ذلك نصف الليل فمنعه ضوءُ القمر !، ثم أراد ذلك فى السّحر فإذا عجوز قائمة تُصَلّى ، فقال :

لم يَخْلُقِ الله شيئًا كنتُ أكرَهُهُ غيرَ العجوزِ وغيرَ الكلْب والقمرِ
هذا نُبوحٌ وهذا يُستَضاء بـه وهذه شيخة قَوّامةُ السَّحَـرِ !

□ على رِسْلِكَ يا فتى ! :

المنصور عن أبيه محمد بن علىّ ، قال : حَجَجْتُ فرأيت امرأةً من كلب شريفة قد حَجّت فرآها عُمَرُ بن أبى ربيعة فجعل يُكَلِّمُها ويَتْبَعُها كلَّ يوم ، فقالت لزوجها ذات يوم : إنى أُحِبّ أن أتوَكّأ عليك إذا رُحْتُ إلى المسجد ، فراحت متوكئةً على زوجِها ، فلما أبصرها عُمَرُ وَلّى ، فقالت : على رِسْلِك يافتى !

تَعْدُو الذئابُ على مَن لا كِلابَ له وتتقى مَرْبِضَ المستأْسِدِ الحامى

□ هذا جزاء من يخون !! :

الرياشى قال : كان أبو ذؤيب يهوَى امرأة من قومه ، وكان رسولُه إليها رجلاً يُقال له : خالد بن زهير فخانه فيها ، فقال أبو ذؤيب :

تُرِيدِينَ كَيْمَا تجمعينى وخالـدًا وهل يُجْمَع السَّيفان - وَيْحَكِ - فى غِمْدِ؟!
أخالـدُ مارَاعَيْتَ مِنّـى قرابـةً فتحفظَنى بالغَيْب أو بَعْضَ ما تُبْدِى

وكان أبو ذؤيب خان فيها ابن عَمٍّ له يقال له : مالك بن عُوَيْمِر ، فأجابه خالد :

ولا تَعْجَبَنْ من سَيْرَةٍ أنت سِرْتَها وأولُ راضٍ سُنَّةً من يَسيرُها[٢٢]

(٢٠) تمرّس بالشىء : احتك به . (٢١) يذهب إليه خفية بعيدا عن أعين الرقباء !
(٢٢) جاء فى الشعر والشعراء : « فلا تجزَعَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها » .

ألم تتقَّذْها من ابن عُوَيْمِرٍ وأنت صَفِيّ نفسِه ووزيرُها[٢٣]؟!

□ الله أعلم بالنيات والعمل ! :

سَأَلَتْ امرأةٌ زَوْجَهَا الحجّ فأذِنَ لها وبعثَ مَعَها أَخَاهُ ، فلما انصرفا عنه سأله عنها فقال :

وما علمتُ لَهَا عَيْبًا أُخَبِّـرُه إلا اتهامِيَ فيها صاحبَ الإبلِ !
كُنَّا نهارًا إذا ما السَّيْرُ جَدّ بنا يُغَيِّرَانِ وما بالرَّحْلِ من مُثُلِ[٢٤]
ويَخْلُفُون كثيـرًا فى منازلنـا فلا نَزَالُ نَرَى آثارَ مُغْتَسَلِ
فاللهُ أعلَمُ ما كانت سَرائرُهم والله أعْلَمُ بالنياتِ والعَمَـلِ !

□ متى عهدُك بالزنا ؟! :

قال رجل للفرزدق : متى عهدك يا أبا فِراسٍ بالزنا ؟ فقال : مُذ ماتَتِ العجوز !

□ هذا جزاء من عَضَل ابنته ! :

رُمِى ببغداد فى سوق يحيى قِمَطرَة[٢٥] فيها صَبِيّ وتحته مُضَرَّبَاتُ حرير[٢٦]، وعند رأسه كيسٌ فيه مئة دينار ، ورقعة فيها : هذا الشَّقِيُّ ابنُ الشَّقِيّة ؛ ابن السِّكْباج والقَلِيّة[٢٧]، ابن القدَح والرَّطْلِيّة ، رحم الله من اشترى بهذا الذهب جاريةً تُرَبِّيه .

وفى آخر الرُّقعة : هذا جزاءُ مَن عَضَل ابنته[٢٨].

□ رجل ماجن ! :

ذكر أعرابيٌّ رجلاً ماجنًا فقال : لو أَبْصَرتْ فلانًا العيدانُ لتحركت أوتارُها ، ولو رَأَتْه مُومِسَةٌ لسَقَطَ خِمارُها !!

---

(٢٣) تتقَّذْها : تأخذها وتستخلصها لنفسك .

(٢٤) يُغَيِّران : يصلحان من شأن الرجل . ومُثُل : جمع مثال وهو الفِراش . ويحتمل أن يكون فى كلمة مثل تصحيف وأصلها « مَيَل » أى أنه ليس هناك ما يدعوهما إلى إصلاح الرحل مَرّة بعد أخرى !

(٢٥) سوق يحيى : ببغداد بين الرُّصافة ودار المملكة منسوب إلى يحيى بن خالد البرمكى . والقِمطرة : سفط ينسج من قصب (سَلّة) .

(٢٦) مُضَرَّبَات : ثياب مخيطة يقوم المنجّد بعملها أشبه باللحاف . وتسمى فى مصر « ضرابيّة » .

(٢٧) السِّكباج : مرق يعمل من اللحم والخل . أما القَلِيّة فهى مرق يتخذ من لحوم الجُزُر (جمع جَزُرور) وأكبادها .

(٢٨) عضل ابنته : حبسها عن الزواج .

□ ماذا يُظَنُّ بليلى ؟! :

قال بعض الأعراب :

ماذا يُظَنُّ بِليلى إذْ أَلَـمَّ بها ... مُرَجِّلُ الرأس[٢٩] ذو بُرْدَيْنِ مَزَّاحُ
حُلْـوٌ فُكَاهَتُـه حُـزٌّ عِمَامَتُـه ... فى كفِّه من رُقَى إبليسَ مِفْتاحُ ؟!

□ ماجنٌ فى مرآةِ أعرابى :

ذكر أعرابى رجُلاً ماجنًا فقال :

هو أكثر ذُنوبًا من الدَّهْرِ ، تِفِدُ إليه مواكِبُ الضَّلالة ، ويَرْجِعُ مِنْ عِنْدِه مُدَوَّن الأيام !

□ يصومون عن المعروف ، ويُفْطِرون على الفحشاء ! :

وذكَرَ آخرُ قَوْمًا فقال : هم أَقَلُّ الناسِ إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجرُّمًا[٣٠] على أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويُفطِرون على الفحشاء !

□ الأصمعىّ وأمةٌ ظريفة ! :

قال الأصمعىُّ لأمةٍ ظريفة : هل فى يديك عمل ؟ قالت : لا ! ولكن فى رجلىّ[٣١].

□ دِيـرُ العَذَارَىٰ ! :

قال أبو المهنّد :

وأفجَـرُ مـن راهبٍ يدّعـى ... بـأنّ الـنساءَ عليـه حـرامْ
يُحَـرِّمُ بـيضاء ممكـورة[٣٢] ... ويُفتيه فى البُضْعِ عنها الغُلامْ[٣٣]
إذا ما مَشَى غَضَّ من طَرْفِه ... وفى الليل بالدِّنِّ منه غُرَامْ[٣٤]
ودَيْـرُ العَـذَارَى فَضُوحٌ لَـهُ ... وعند اللُّصُوصِ حديثُ الأنامْ[٣٥]

فشدُّوه وَثَاقًا ، ثم أخذ كل رجل منهم جاريةً ، فوجدوهن مُفْتَضّاتٍ ، قد افْتَضَّهُنَّ القَسُّ كُلَّهُنّ .

---

(٢٩) مُرَجِّل الشعر : مُسَرِّح . (٣٠) تَجَرّمًا : ادّعاء أنهم قد أجرموا وما هم بمجرمين !
(٣١) تريد أنها راقصة ! (٣٢) مَمْكورة : ذات ساق غليظة . مستديرة حسناء .
(٣٣) البُضْع : الزواج . والفرج . (٣٤) غُرام : شراسة .
(٣٥) دَيْرُ العَذَارى : بين أرض الموصل وبين باجرما من أعمال الرقة . وهو دير قديم كان به نساء عذارى مترهبات . ومثله دير العذارى بقرب سُرّ مَن رأى ، وبظاهر حلب ، وفيه أكثر بساتينها .

□ عندما ينزلُ المخنّث أرضاً ! :

قال سهلُ بن هَارُونُ :

إذا نزل المخنّثُ فى رِباعٍ تَحَرّك كُلُّ ذِى خنَثٍ إليه
وصارت دونهم[٣٦] مأوى الخبايا وصار الرَّبْع مَدْلُولاً عليه

□ زوج كما اشتهت عدا ثلاث خصال :

وقال آخر :

أقولُ لَهَا لَمّا أتتنى تَدُلُّنى على امرأةٍ مَوْصُوفَةٍ بجَمالِ
أصَبْتِ لها - والله - زوجًا كما اشْتَهَتْ إن اغْتَفرتْ فيه ثَلاثَ خِصَالِ
فمنهن فِسْق لا يُنَادَى وليدُه ورِقَّةُ إسلامٍ وقِلّةُ مالٍ[٣٧]

□ متى يُوشِكُ الحَسَبُ الرّفيعُ أنْ يَضيعَ ؟! :

قال الأصمعىّ : دخلت على ابن رَوْحِ بن حاتم المهلّبىّ ، وحضر الآذن وهو عاكفٌ على جارية ، فقلت له :

عَمَدْتَ إلى الموضع الذى كان أبوك يضربُ فيه الأعناق ، ويُعطى فيه اللّهَى[٣٨]، ترتكب فيه ما ترتكب ! فقال :

وَرِثْنا المجدَ عن آباءِ صِدقٍ أسأنا فى ديارِهُمُ الصَّنيعَا
إذا الحَسَبُ الرفيعُ تواكلتْهُ بناتُ السَّوْء يُوشِك أن يَضِيعا !

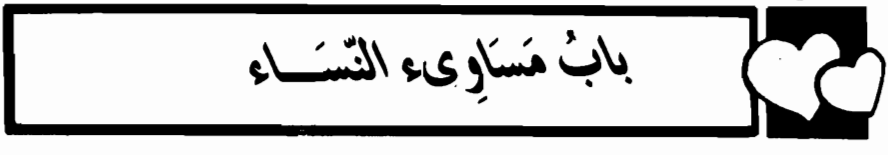

□ الخصال العشرة التى عُوقِبَت بها المرأة :

عن وهب بن منَبّه قال : عاقب الله المرأة بِعَشْر خِصَال :

شِدّة النّفاس ، وبالحيض ، وبالنجاسة فى بطنها وفرجها ، وجَعْلِ ميراثِ امرأتين ميراثَ رجُلٍ واحد ، وشهادةِ امرأتين كشهادة رجل ، وجَعْلِها ناقصةَ العقل

---

(٣٦) كذا بالأصل ، ولعلها : « دورهم » .

(٣٧) جاء فى أساس البلاغة : ومن المجاز : هو فى أمر لا ينادَى وليدُه . كناية عن عجزه . ورقة الإسلام ضعفه ، فهو متهم فى دينه أيضاً ، فإذا أضيف إليهما قلة المال فمن يرضى به ؟!

(٣٨) ويعطى اللّهَى : أفضل العطايا .